٢ ـ دانتى أليجييرى

والكوميديا الالهية

وأبو العلاء المعرى ورسالة الغفران

عرفنا من الكلمة السالفة أن أبا العلاء كتب رسالته يرد بها على ابن القارح وهو طرب أيما طرب لأنه وجد فيه ... عنقاءه والخل الوفى ! وعرفنا أن ابن القارح لم يكن يقل زندقة وإلحاداً عن أبى العلاء لأنه استهزأ بالأبرار الأطهار الذين ورد ذكرهم فى سورة الدهر ، ولأنه عاب عليهم خوفهم يوماً كان شره مستطيرا ... يوماً عبوساً قمطريراً ... ولو كانوا مثله ... مثل ابن القارح ... لما نذروا ، ولما وفوا ... ولما خافوا شر ذلك اليوم

وعرفنا كذلك أن ابن القارح لم يكن صادقاً حقاً فى (تفيظه على هؤلاء الزنادقة واللحدين) الذين حشدهم وجمع أقوالهم فى رسالته من غير ما مقتض لحالها ... اللهم إلا أنه كان يخاطب

والفلسفة الاسلامية ، وتدل على شموخ مقامها ، وبعد نظرها فى أحكامها

وبعدُ : فانى أرسل تحياتى الى أستاذى الجليل على صفحات (الرسالة) الغراء ، مجدّداً ذكرى صداقة لم تزدها الأيام إلا ثباتاً وقوة ، منذ كان الأستاذ حفظه الله فى مصر ، من نحو خمس وعشرين سنة ، وكنا نقتبس من بحار علومه ، ونقتدى به فى مكارم أخلاقه ، وكنت له كالتلميذ الخاص ، ألازمه فى غدواته وروحاته . بارك الله فيه ، ونفع به الاسلام والمسلمين

وأخيراً : أدعو المثقفين منه المسلمين ، وقارئهم من علماء الدين ، لينظروا فى مسائل الزواج ومشاكله ، وهى جمة متوافرة ، لا بالنظر التقليدى القديم ، ولا بالنظر الافرنجى الحديث ، ولكنه بالنظر الاسلامى الصحيح ؟

أحمد محمد شاكر
القاضى الشرعى

أبا العلاء بلغة العصر الذى كانت تهدر فيه الدماء لمجرد الريبة تحوم حول الرجل فى دينه ، فاضطر أن يلغز هذا الالغاز الذى لا يجوز مظهره على ذكاء أبى العلاء ...

ونريد اليوم أن نعرف السبب الذى حدا بدانتى إلى كتابة كوميديته ؛ فلا نرى بأساً من أن نضع بين يدى القارئ ترجمة سريعة لهذا الرجل الذى كان يعيش ملء عصره ، ويسام بقلبه وعقله ويده فى شؤون إيطاليا عامة وفلورنسا خاصة

ولد دانتى فى مايو ١٢٦٥ ، أى بعد أن وضعت الحرب الصليبية أوزارها (١٠٩٦ — ١٢٤٤)[1] . وفى زمان كان فيه اختلاط الشرق بالغرب شاملاً كل شىء ولا سيما الثقافة ، وكان الغرب يرشف من مدنية الشرق ما يشاء عن طريق الشام ومصر وصقلية وتونس والأندلس . واختلف المؤرخون فى منشأ أسرة دانتى ... فبعضهم يقول إنها من رومه ، وبعضهم يقول إنها من فرّارا ، والبعض يقول إنها من پارما ، أو من فيرونا ؟ على أنهم متفقون على أن الفتى نشأ فى فلورنسا وفيها ولد ، وأنه تثقف على أشهر علمائها فى ذلك الزمن (برونتو لاتينى)

وقد كان أبوه أليجييرو رجلاً فقيرا من وسط برجوازى مكروه من الحزب الديمقراطى ، وقد ماتت أمه مونّا بالا Monna Bella بعد أن وضعته بزمن قصير . وفى التاسعة من عمره رأى فتاه وحبيبته بياتريس ، فنفثت فى قلبه السحر ، وحلت عن لسانه عقدة الشعر ، وجعلت حياته درامة رومانتيكية بارعة من الحب الأفلاطونى الحزين ... وترعرع دانتى ... ونظم الشعر فى بياتريس ...

وفى الثامنة عشرة ، نظم أولى غرر قصائده يطلب فيها تفسير حلم جميل « من كل مغرم دنف ، برح به الحب ، ولفح قلبه بارح الهوى ...» وكانت قصيدة رائعة لفتت إلى الشاعر الشاب نظر كبير شعراء إيطاليا إذ ذاك جيدو كفالكانتى ، فكانت عرى الصداقة بينهما ، ورمز المحبة والوفاء

واشترك الشاعر الفتى فى حملات حربية سخيفة ، وحضر معركة كپلدينو سنة ١٢٨٩ ... ثم انغمس فى النضال الحزبى الذى كان يجرف فلورنسا وإيطاليا فى ذلك العهد ، وكان ناشباً بين

---

(١) هكذا يحددها مؤرخو الأفرنج ، وإن تكن قد امتدت إلى أبعد من ذلك

حزبين قويين مايلبث أحدهما أن ينتصر حتى تكون للآخر الكرة عليه ؛ وكان دانتى فى جانب الجلفيين . وحدث أن كان فى بعثة سياسية لدى البابا حين انقض الجبليون — الحزب الآخر — على المدينة وانتزعوا مقاليد الحكم من الجلفيين ، وقضوا على دانتى بالنفى المؤبد ، وبالاعدام حرقاً إذا فكر فى الرجوع الى فلورنسا

وكانت بياتريس قد ماتت قبل ذلك ، وكان الشاعر قد فقد صداقة جيدو كفالكانتى من جراء الحزازات الحزبية التى كثيراً ما قضت على روابط وأواصر وصداقات ... وكان قد تزوج كذلك وإن لم يسل بياتريس — التى كانت قد تزوجت من غيره — من الفتاة جمادونا دوناتى Gemma Donati التى كانت تنتمى الى حزب الجبليين ... فكانت حياته معها سلسلة متلاحقة من الآلام لدوجة أنها رفضت أن تلحق به فى منفاه وحرمته بذلك حتى من النظر إلى أبنائه ... ومن أجل ذلك لم يتورع دانتى من الاشادة بذكرى حبيبته بياتريس فى كتابه (الحياة الجديدة) Vita Nuova ومن الوعد فى آخر هذا الكتاب بتأليف معجزته الخالدة (الكوميدية الآلهية) فى تخليد ذكرى بياتريس . بل هو لم يتورع كذلك من أن يدس جمادوناتى فى أشد دركات جحيمه فى هذه الكوميدية ... كما سيجىء ذكره

وقد طوّف دانتى فى أنحاء إيطاليا ، وذاق فى منفاه مرارة العيش وشقوة التشرد ، وجاب الرحب فزار باريس ، ويقال إنه ارتحل الى انجلترا وألقى عصاه فى أكسفورد . ولعل حظ الأدب من مرارة ذلك العيش ، وشقوة ذاك التشرد كان عظيما جدا ، فقد قسم لدانتى أن يبر بوعده بتأليف الكوميدية إذ هو مشرد فى الآفاق ، طريد من فلورنسا ، بعيد عن أحزابها ، بنجوة من قلق السياسة واضطراب السياسيين . ففى سنة ١٣٠٠ ألف كتابه الجميل (الحياة الجديدة)[1] أو انثيتانوفا الذى يصف به خلجات قلبه وضمنه ترجمة طلية لحياته وصلته بالفتاة الفتانة بياتريس بورتيناري وجمع فيه كل الأشعار التى تغزل فيها بحبيبته . والكتاب رائع حقا ، ويعتبره المؤرخون أول كتاب من نوعه فى بحر النهضة وآخر ومضة من الأمل فى العصور الوسطى

ولقد كان دانتى يحمل ضيفاً على أمراء الولايات الايطالية الشمالية فيقابل بالترحاب من الجميع ، وكان الجميع يكرمون وفادته ولا سيما كين دِلّا سكالا أمير ڤيرونا الذى لبث دانتى فى ضيافته حتى عام ١٣٢٠ ، ثم ارتحل إلى جيدو نوفللو دابولنتا عظيم رافنّا ومن ثم ذهب الى البندقية فى بعث سياسى ... ولكن البندقيين استخفوا به فأثر ذلك فى نفسه حتى قيل إنه حم ، فعاد أدراجه والمرض يفتك به ... ولقى حتفه عقب ذلك بزمن قصير

وفيما بين سنة ١٣٠٦ ، ١٣٠٨ ألف دانتى كتابه الفلسفى (الوليمة) Donvivio أو Convito وقد حاول فيه تبسيط الآراء والنظريات الفلسفية لتسيغها أفهام العامة ، وهو فى رأينا أقل قيمة من انثيتانوفا . وان يكن دانتى نفسه قد فضله على انثيتانوفا

ويقولون إنه ألف قبل ذلك (١٣٠٤) كتابه المعجب (فى فصاحة اللغة العامية) De Vulgari Eloquentia[1] الذى حاول فيه خلق لغة قومية للايطاليين يكتبون بها ويؤلفون فيها كتبهم بدل اللغة اللاتينية التى كانت مستعملة فى ذلك الوقت

وفى سنة ١٣٠٩ ألف كتابه De-Monarchia وفيه يتغنى بالامبراطورية الرومانية القديمة ويحفز هم الايطاليين لاحيائها (لأنها نظام فرضه الله على البشر ، وهى وحدها التى تأخذ بأيدى الناس إلى السلام والنظام والعدالة ، وهى سلسلة متصلة فى التاريخ لا انفصام لها ...) وتلك نُصرة عرف بها دانتى ، انتقلت بعجزها وبجرها إلى زعيم إيطاليا الحديثة

ويرجح مؤرخو دانتى أنه كتب الكوميدية الآلهية إذ هو ضيف كريم على أمير ڤيرونا ثم أنهما فى رافنّا قبيل وفاته فى سبتمبر سنة ١٣٢١

وهاك ما اختتم به انثيتانوفا بصدد الكوميدية الآلهية :

« ... أبتهل إلى الله القدير أن يمد فى أجلى — إذا شاء — كى أكتب فى ملاكى ما لم يكتبه أحد فى امرأة من قبل ... حينئذ ... كم تكون روحى سعيدة حين تسبح فى ملكوته الأعلى لتتزود نظرة من ... بياتريس ! »

وقد مد الله فى أجله فعلاً ، وكتب فى ملاكه ما لم يكتبه أحد فى امرأة من قبل ، وذهب فى إثر رائده ڤرجيل يخوض دركات جهنم ، ويرقى فى شعاف المطهر ، ليلقى بياتريس فى ظلال الخلد . ونعيم لا يفنى

(١) فى بعض المصادر أنه ألفه بين سنتى ١٢٩٢ — ١٢٩٤ وأنه تزوج من جما سنة ١٢٩٦ ولما كان قد أنجل منها سبعة أطفال ليكون التاريخ المذكور هو الأصح

(٢) أو Eloquio

جحيم دانتى

(١) [1] رأى دانتى كأنه يضرب على غير هدى فى تيه لا أول له ولا آخر ، ثم رآه يضل طريقه فى غابة مظلمة تعج بالأفاعى وتضج بالوحوش ، حتى إذا بلغ طوداً رفيع الذرى وحاول أن يرقاه زأرت فى وجهه أسود وهممت حوله ذؤبان أوشكت أن تفتك به ، لولا أن أبصر فرأى الشاعر الرومانى الخالد ڤرجيل يقترب منه فينقذه من الكواسر المحدقة به ، ثم يذكر له أنه قادم من لدن حبيبته بياتريس ليهديه سواء السبيل ، وليخوض به دركات الجحيم ليريه من آيات ربه ، ثم ينفذ به الى جبال المطهر ... وليتركه عند باب الفردوس ، حيث تلقاه حبيبته ، فتمضى به الى جنات النعيم « لأنى غير مأذون لى بدخولها »

(٢) ويتلكأ دانتى قليلاً ، ولكن ڤرجيل ما يزال به يغريه حتى يتبعه (٣) ... وينطلقان حتى يكونا عند باب جهنم ... وينظر دانتى فيرى كلمات نقشت من نور على لوحة علقت أعلى الباب ... هى كلمات الإله العزيز من غير شك ... ويؤذن لهما فيدخلان ، ويسمع دانتى الى أنين المعذبين ، فيخبره ڤرجيل أنهم أولئك الذين قضوا حياتهم الدنيا فى لهو ولعب ، لا يعنيهم أن يقدموا عملاً صالحاً ينفعهم فى الدار الآخرة . ثم يبلغان عدوة نهر أشيرون ، ويريان جباره العتيد ذا الطول (خارون) منتصباً كالوحش فى زورقه الذى ينقل فيه أرواح الأشقياء من هذه العدوة إلى العدوة الأخرى ... وهنا ... تدور جهنم برأس دانتى فيعروه من الغثيان والغشية ما يهوى به إلى الأرض (٤) ... ثم يدوى رعد قاصف فى أركان جهنم فيهب دانتى من غيبوبته ، ويتعلق بأذيال ڤرجيل ، وينطلقان حتى يبلغا الدرك الأول من دركات الجحيم واسمه (لمبو Limbo) حيث يشق أولئك الذين استهتروا بتقاليد الكنيسة ، فلم يبالوا أن (يُعَمَّدوا) !! ولو أنهم كانوا مع ذلك برة أخياراً ، (٥) ويبلغان الدرك الثانى من النار ، ويرى دانتى إلى مينوس أحد قضاة الجحيم الذى يسائله كيف نفذ إلى هذه الدار وهو ما يزال حيا من أهل الدار الفانية ، ويتذره أنه لن يحتمل زفير سقر ... وينظر دانتى فيرى إلى جموع الفجار الشهوانيين من أهل الفسق تعصف بهم ريح السموم ، وتنثرهم هنا وهناك كما ينثر الريش فى يوم عاصف ... ومن هؤلاء هيلين التى شبت بسببها حروب طرواده ، وكليوبطرة ، ثم يرى الزوجة المفتونة فرنشسكا التى أحبت أخا زوجها (باولو) حين كان يقرأ لها قصة لانسلوت الغرامية « فلما بلغنا هذا الحد من القصة ، ورأينا باولو يطبع قبلة حارة على فم فرنشسكا ، نظر باولو إلى ، واغرورقت عيناه بالدموع ، وأهوى على فمى يقبله ... واستسلمت ... فلم أقاومه ! ! » ويألم دانتى أشد الألم وأبلغه ، فيغشى عليه حزناً على فرنشيسكا التى كانت تقص عليه خبرها (٦) وينهض من غشيته ، ويبلغان الدرك الثالث ، حيث الحمأ المسنون والوحل المركوم تسبح فيه أرواح المنهومين الطاعين ، وتنصب فوقهم شآبيب من برد وثلج ، ويمزق الكلب سيربيروس أبدانهم شر ممزق . ويلقيان (كياشو) أحد الأشقياء فيتنبأ لهما بما سيجتاح فلورنسا من شدائد (٧) وينطلقان حتى يكونا فى الدرك الرابع حيث تعذب أرواح البخلاء والمبذرين الذين يعير بعضهم بعضاً ، ويبلغان الدرك الخامس حيث تعذب أرواح العابسين وأهل الشر فى بحيرة (ستيجيا) . ويطوفان قليلا حول البحيرة ثم يصلان إلى سفح برج منيف (٨) فيقبل نحوهما نوتى اسمه فلجياس فيحملهما فى زورقه إلى شاطئ البحيرة المقابل — ويصلان أيضاً إلى مدينة ديس (Dis) حيث تعذب أرواح الجن والعفاريت ولكن هؤلاء الجن لا يسمحون لهما بدخول مدينتهم ويذودونهما عن أبوابها (٩) ولكن ملكا كريماً يهبط عليهما فيدخل بهما إلى ديس حيث يريان أضرحة فيها نار مشبوبة تعذب فيها أرواح الجدفين والمهرطقين (١٠) ويأخذ دانتى فى مجادلة بعضهم (١١) ويبلغ دانتى الدرك السابع حيث يلقى كبيراً من هؤلاء المراطقة ويتمنى لو أن جميع من لقيهم فى الجحيم (فى الدركات السابقة) كانوا فى ديس ليتعذبوا كعذاب هؤلاء ! وينظر دانتى فيرى إلى بعض المرابين (١٢) ويبلغان الدرك السابع حيث يقودهما سنتور عظيم فيقفز بهما من صخرة إلى صخرة حتى يكونوا فى قرار الدرك . وهناك ينظرون إلى نهر من الدم تسبح فيه أرواح شريرة هى أرواح الذين آذوا جيرانهم . ثم يحملهما سنتور آخر إلى الشاطئ المقابل (١٣) فيشهدان طوائف شتى من الأشقياء

(١) هذه الأرقام إشارة إلى فصول الجحيم وقد لخصناها هذا التلخيص الموجز حتى يتصل بعضها ببعض

(١٤) فى أقسام مستقلة من الدرك السابع . ويتحدث ڤرجيل إلى دانتى عن تمثال كبير كان فى جبل إيدا (أولمب) ؛ وهو الآن يتصهر منها فى نيران الجحيم (١٥) ويقابلان حشداً من الأرواح الهائمة فوق الحصباء المتأججة تتلمس شاطئ النهر ، ويشهد دانتى بينهم أستاذه (١) برونتو لاتينى فيحادثه طويلا (١٦) وينطلقان مع النهر حتى يصب فى الدرك الثامن فيقابلهما فوج من مواطنى فلورنسا المسكريين فيتحدث إليهم دانتى حتى يحجزهم عنه وحش من وحوش الجحيم (١٧) ويلقيان التنين جيريون فيرجوه ڤرجيل أن يحملهما إلى الدرك الثامن ويكون دانتى قد انتهز فرصة تحادثهما وانطلق يكلم الأشقياء الذين يعذبون هنا من أجل محاربتهم للفنون فى الدار الأولى — ويركبان فوق ظهر جيريون (١٨) فينطلق بهما إلى الدرك الثامن الذى ينقسم إلى عشر دركات يصف الشاعر اثنتين منها فقط فى هذا الفصل وهما درك المزورين ودرك المخادعين ويتعذبون فى حميم آن وحماً وروث (١٩) ويبلغان الدرك الثالث من الدرك الثامن حيث يثوى الخبثاء من رجال الكنيسة الذين دأبوا على بيع وظائفها بالمال (٢٠) ثم ينتقلان إلى الدرك الرابع حيث يأوى الدجالون والمشعوذون (٢١) ثم إلى الدرك الخامس حيث يسبح المختلسون وآكلو التراث فى صديد يغلى وقار ، عليهم حراس من زبانية شداد (٢٢) وتقودهما طائفة من الجن فى الدرك الخامس أيضاً ويحدث أن يحاول أحد المجرمين الافلات من ربقة الزبانية (٢٣) ويصلان إلى الدرك السادس حيث المنافقون يلبسون عباءات من نار وطراطير من جمر ، وحيث إخوان الصفاء من أهل بولونا (Joyous Friars of Bologna) (٢٤) وينطلقان إلى الدرك السابع حيث اللصوص والنشالون تقذف الحيات والأفاعى سمومها فى وجوههم وحيث الطواعين تصطلمهم (٢٥) ويلقيان شيخ المجدفين (فوشى) حيث تمزقه الثعابين وتنفث فيه سمها الأراقم ، ويلقيان أيضاً بعض الفلورنسيين المارقين . (٢٦) ويهبطان إلى الدرك الثامن حيث يعذب نصحاء السوء فى لهب متدلعة ونار ترمى بشرر كالقصر كأنه جبالات صفر ! وهنا يلقيان الفارسيين الاغريقيين ديوميد وأوليسيز فيتحدث ثانيهما عن كيفية موته (٢٧) وجيد وذامونتفلترو (أحد الفلورنسيين من خصوم دانتى !!) (٢٨) ويصلان إلى الدرك التاسع من الدرك الثامن حيث حشد الشاعر المتعصب من سماهم زراع الفتن وتجار الضلالات وحيث جعل منهم نبينا صلى الله عليه وسلم محمد بن عبد الله وابن عمه عليا ابن أبى طالب اللذين أتهمهما هذا الكاثوليكى الوقح بأنهما من أهل الشهوات وأهل الشقاق والنفاق [1] (٢٩) ويعبران إلى الدرك العاشر حيث المزيفون والكيمائيون تفتك بهم الطواعين وتضنيهم الأمراض (٣٠) وفى هذا الدرك أيضاً يلقيان طوائف أخرى من النصابين والمماليق (٣١) ويسمعان نافخاً فى صور يدوى فى آفاق جهنم فيقصدان إليه ، فاذا هما الدرك التاسع من النار حيث المردة والشياطين وكل خناس عظيم . ويأخذهما أحدهم (أنتيوس) فى قبضته فيجتازهما فى قرار الدرك (٣٢) حيث زمهرير وبرد وثلج وحيث بعض الايطاليين جاثمون يتعذبون (٣٣) ويتحدث إليه بعض هؤلاء بما كان من خيانة أحد مواطنيه ويحدثه عن جريمة قتل حدثت فى فلورنسا ولم يعرف مقترفها (٣٤) ويصلان إلى الدرك الرابع من الدرك التاسع فيريان الذين أساءوا إلى من أحسنوا إليهم ، مطمورين فى ثلج وجليد إلى أذقانهم . ثم يحملهما السنتور لوسيفى فيكونان فى هذه الدار مرة أخرى ويريان النجوم تتلألأ فى السماء كأنه لم يكن شىء ! ! وبذا ينتهى طوافهما بالجحيم

(لها بقية)

د . غ

(١) المعروف عن دانتى أنه كان كاثوليكيا سنيا متعصباً للكنيسة تعصباً أعمى وقد ألهبت الحروب الصليبية حواسه فحشر الرسول فى جحيمه وقال كارليل : (كان دانتى يعد محمداً (ص) طائفيا تخذ شرائع الكنيسة وعربها وحرفها وضل بها شيعته ! !) وسيتضمنا ذلك فيما يلى

الضوء اللامع

لأهل القرن التاسع « للسخاوى »

تم طبعه فى ١٢ جزءاً ، الحادى عشر منها كفهارس منوعة له ، والثانى عشر فى تراجم النساء ، وثمنه جنيه ونصف (ويطلب من مكتبة القدسى بباب الخلق — حارة الجداوى بالقاهرة)